

جامعة الأنبار

كلية العلوم الإسلامية _ الرمادي

وحدة الدراسات الإسلامية والتحقيق والإفتاء

الخطبة أركانها ومفهومها

وصفات الخطيب

جمع وترتيب

أ.م.د. محمد نبهان إبراهيم الهيتي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن علم الخطابة هو العلم الذي يعرف الداعية الخطيب كيف يخاطب الناس ويقنعهم ويجذبهم ويرغبهم ويرهبهم، وكيف يتكلم بتؤدة وتمهل حتى يفهم الناس منه ويعقلوا عنه، وكيف تكون خطبته لمستمعيه بما تتناسب مع عقليتهم وثقافتهم وما تتفق مع أعمارهم ولهجاتهم، حتى يستحوذ على نفوس المخاطبين ومشاعرهم، ويكون له في المجتمع أثر وفي مجال الإصلاح تغيير. كذلك يعرف الدارس كيف يملك قلوب المخاطبين ويشدهم إلى تقبل الحق، ويدفعهم إلى الالتزام ويحرك عزائمهم ويستثير وجدانهم، وذلك باستعمال النداءات الاستعطافية والمخاطبات التشويقية.

يضاف إلى هذا أن علم الخطابة يعرف طلاب الدعوة -الذين لم يسبق لهم أن يمارسوا التحدث ولا المحاضرة ولا الخطابة- طرق التحضير وهيئة الموضوع من جميع نواحيه، ويعد لهم من جميع جوانبه ويشبعه بحثًا ودرسًا وشواهد، حتى يستطيع أن يدلي بحجته فيصيب المرمى وينال السبق، ويبلغ الغاية ويؤثر في الناس بهز المشاعر وتحريك أوتار القلوب، ويبين لهم الخطوات الموصلة إلى الارتجال في الخطابة، والبواعث التي تثير انتباه الجمهور إليه، وتبديد ظلام اليأس في نفوس المخاطبين، ويشرق فيها نور الرجاء والأمل.

وعلم الخطابة بهذا ينير الطريق أمام من عنده استعداد للخطابة ليربي ملكاته، وينمي استعداداته، ويخلصه مما عنده من عيوب، ويرشده إلى طريق إصلاح نفسه ليسير في الطريق ويسلك السبيل. فهذا العلم هذه وظيفته أن ينير الطريق للخطيب، ولكنه لا يحمل على السلوك، فهو يرشد دارسه إلى مناهج ومسالك ولا يحمل على السير فيها.

بعد هذه المقدمة الموجزة تأتي إلى معنى الخطبة وأهدافها وغايتها وأنواعها ثم نعرض بشيء من التفصيل عن خطبة الجمعة التي تعد من أهم وسائل الدعوة والإرشاد في مجال نشر الأحكام الشرعية بين الناس وتوعيتهم وترغيبهم بما يرضي الله عز وجل ويقربهم من الجنة، وترهيبهم عن ما يغضب الله سبحانه وتعالى وبما يبعدهم عن النار والعياذ بالله.

وطبقا لما يقتضيه بحثنا هذا فإنه سيكون مقسما على ثلاثة مباحث:

- ١ - المبحث الأول: الخطابة بمفهومها العام وأركانها وشروطها وأنواعها مع نبذة مختصرة عن نشأتها.
 - ٢ - المبحث الثاني: خطبة الجمعة بشروطها وأركانها وأهميتها وكيفية إعدادها.
 - ٣ - المبحث الثالث: الخطيب وصفاته ونماذج من الخطب.
- والحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول: الخطابة ومفهومها العام

أولاً: تعريف الخطابة:

الخطابة لغة: مصدر خطب يخطب خطبة وخطابة. جاء في (مختار الصحاح): "خطب الخطب سبب الأمر.

تقول: ما خطبك؟ أي ما أمرك، وتقول: هذا خطب جليل وخطب يسير، وجمعه خطوب، قاله الأزهري. وخطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً، وخطب على المنبر خطبة -بضم الخاء- وخطابة، وخطب المرأة في النكاح خطبة -بكسر الخاء- يخطب، بضم الطاء فيهما -في خطبة النكاح وخطبة المنبر- واختطب أيضاً فيهما، وخطب من باب ظرف صار خطيباً".

قال الإمام محمد أبو زهرة -رحمة الله عليه- في تعريف الخطابة: "الخطابة مصدر خطب يخطب أي صار خطيباً، وهي على هذا صفة راسخة في نفس المتكلم يقتدر بها على التصرف في فنون القول؛ لمحاولة التأثير في نفوس السامعين، وحملهم على ما يراد منهم بتزغيبهم وإقناعهم، فالخطابة مرماها التأثير في نفس السامع ومخاطبة وجدانه، وإثارة إحساسه للأمر الذي يراد منه، ليدعن للحكم إذعائاً ويسلم به تسليمًا".

وأما الخطابة في الاصطلاح فقبيل أئها: (فن مخاطبة أو مشافهة الجماهير بأسلوب يعتمد على الاستمالة والإقناع).

ومن خلال هذا التعريف نستطيع أن نحدد أسس الخطابة وهي:

- ١ - المشافهة: ويقصد بها: أن يوجد عنصران في المخاطبة المتكلم أو القارئ والملتقي أو المستمع الذي يمكنه رؤية المتكلم عن طريق تسجيل مريء أو غيره من الطرق الحديثة.
- ٢ - الجماهير: وهم الناس الذين يستمعون إلى ما يقوله الخطيب، فإذا لا يوجد هناك أناس منتبهين إلى المتكلم فلا يعد كلامه من نوع الخطابة.
- ٣ - الاستمالة: ويقصد بها: إثارة عواطف السامعين وجذب انتباههم وتحريك مشاعرهم وذلك بتنوع الأسلوب وجودة الإلقاء.
- ٤ - الإقناع: بان يقوم المتكلم بمخاطبة عقول المستمعين بسرد المثلة وتقديم الأدلة على ما يقوله والبراهين التي تقنع مستمعيه.

ثانياً: نشأة الخطابة:

الخطابة قديمة العهد والاستعداد لها مخلوق مع الإنسان، إذ لا غنى للإنسان عن الإبانة والتعبير لغيره عما يدور في خلدته وضميره من معانٍ وأفكار، وعن إقناعه بصدق مقاله وسداد رأيه.

وقد كان للأنبياء والمرسلين -عليهم الصلاة والسلام- في الخطابة الحظ الأوفى والمقام الأعلى، فكل واحد منهم -عليهم الصلاة والسلام- كان داعية خطيباً إلى توحيد الله تعالى وطاعته وتقواه، وإرشاد الناس إلى طريق الخير وطريق الشر، بحيث من سار في طريق الخير سعد ونجى، ومن سار في طريق الشر هلك وشقى، كما قال رب العالمين سبحانه: {فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَن تَبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَن أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} (طه: ١٢٣، ١٢٤).

وهكذا كان كل نبي من لدن آدم إلى محمد -صلى الله عليهم وسلم- كانوا أجمعون يقومون في أقوامهم دعاة خطباء، يدلونهم على الله وما يقربهم منه ويوصلهم إلى طاعته، ويبينون لهم الثمرات الطيبة التي تنعكس عليهم من جراء التوحيد والطاعة في الدنيا والآخرة، كما يبينون لهم الآثار السيئة والعواقب الوخيمة -التي تنتظرهم وتحل بساحتهم- إن أقاموا على التكذيب والجحود والكفران، وأصروا على التمرد والعصيان، كما أخبر الله -عز وجل- عنهم في كتابه الكريم، وأطلعنا على ذلك نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم-.

وقد بقي من آثار الخطابة على طول الأمد خطب التوراة التي قام بها الأنبياء -عليهم السلام- إلى بني إسرائيل؛ ليحملوهم على الاستقامة ويردوهم عن الشر والغواية.

وكان للعرب في ذلك الحظ الأوفى، فحفلوا بها في الجاهلية وساعد عليها وجود عدة أسباب اجتماعية أدت إلى ازدهارها ورفعة شأنها، فوصلت إلى القمة وتوجت بالشرف والاعتزاز.

ومن تلك الأسباب ما يأتي:

١ - طبيعة مواضيع الخطابة: وهي إما حث على حرب، أو حض على سلم، وبطبيعة الحال لا يتعرض لهذه المواضيع إلا من كان سيداً مطاعاً؛ لأنه الذي يُسمع قوله ويطاع أمره في مثل تلك المواقف، وهو الذي يملك إعلان الحرب وقبول الصلح.

٢ - التهاني أو التعازي، وإذا أرادت قبيلة أن تهني قبيلةً أخرى بمكرمةٍ، كظهور فارسٍ أو نبوغ شاعرٍ أو غير ذلك، فإنها ستوفد من طرفها من يؤدي ذلك عنها، وبطبيعة الحال أيضًا لن تختار إلا من أشرفها ليمثلوها ويعبروا عنها.

٣ - المفارحات والمنافرات، ومن عادة هذين الغرضين ألا يقعان إلا بين شخصين عظيمين، يرى كل شخص منهما أنه أعلى وأعظم من الآخر، فيرفع من شأنه ويحط من قدر من يقابله، وعليه فلن يتقدم لتعداد المفارح إلا الفضلاء، كل ذلك يجعل مهمة الخطابة فاضلة نبيلة، ويرفعها إلى المكانة العالية.

أما الخطابة في صدر الإسلام فقد وصلت إلى الذروة وبلغت كمال أوجها، وجاء العصر الأموي فوجدت الخطابة لها غذاء من الفتن والثورات التي أظلت ذلك العصر، وقد أخذ الفتيان والكهول يتبارون في الخطابة ويتسابقون في ميدانها، وكان مكان ذلك الوفادة ومجالس الخلفاء والأمراء والولاة. وقد نشأ من هذا أن وجد أناس يعلمون الشبان الخطابة ويمرنوهم عليها. وقد ظهر ذلك واضحًا كل الوضوح في العصر العباسي الأول، فقد جاء في (البيان والتبيين) للجاحظ وفي (العقد الفريد) لابن عبد ربه أن بشرًا بن المعتز مر بإبراهيم بن جبلة وهو يعلم فتياه الخطابة، فقال بشر: "أضربوا عن ما قال صفحا واطووا عنه كشحا"، ثم دفع إليهم صحيفة من تحبيره وتنميقة، وفي هذه الصحيفة وصف جيد لأساليب الخطابة وألفاظها ومعانيها، ويظهر أنهم لم يقتصروا على استنباطهم العربية، بل كانوا يستعينون بما في آداب الأمم الأخرى؛ ليعاوتهم ذلك في استنباطهم ويمدهم بما ليس عندهم، وينبههم إلى ما عساه يعزب عن خواطرهم.

ثالثا: أهمية الخطابة ومكانتها:

إن الإنسان إذا عرف أهمية الشيء ومكانته في الحياة سعى إليه بكل طاقته وجهده؛ ليتحصل عليه وينال شرفه وفضله. والخطابة من أهم الأشياء في حياة الإنسان؛ لأن الإنسان بطبيعته مدني اجتماعي يحب الخلطة ويكره العزلة، فإذا خالط الناس فلا بد أن يحدث بينه وبينهم اختلاف أيًا كان سبب هذا الاختلاف، وحينئذ فلا بد له ولغيره من محاولة كل منهما بإقناع الآخر برأيه، وهنا تأخذ الخطابة دورها في المعارك الدائرة هجومًا ودفاعًا. ومن هنا عرف الناس الخطابة منذ أن اجتمعوا في مكان واحد واستوطنوه، لأن الطبيعة تقتضي اختلاف الناس متى اجتمعوا سواء كان هذا الاختلاف في رأي أو في عقيدة، أو كان الاختلاف بسبب تنافس على غنيمة أو متاع أو سلطة، فيحاول المتفوق أن يستميل إليه من يخالفونه وأن يقنعهم، فإذا ما أقنعهم واستمالهم فهو خطيب وقوله خطبة، ثم إنه من الطبيعي أن تنشأ أمور تستدعي تعاون المجتمع، وتضافر قواه على

اجتلاب نفع عام مشترك أو اتقاء ضرر عام، فيتصدر بعض الناهجين من هذا المجتمع لقيادة الجماعة وزعامتها، وعدتهم في ذلك الخطابة، على أن الناس في حياتهم القديمة تسلحوا بأسلحة مادية للدفاع والعدوان، وتسلحوا أيضاً بسلح معنوي هو اللسان.

وهذه أول ثمرة من ثمرات الخطابة، وللخطابة فوق ذلك ثمرات كثيرة؛ فهي التي تفض المشاكل وتقطع الخصومات، وهي التي تهدئ النفوس الثائرة، وهي التي تثير حماسة ذوي النفوس الفاترة، وهي التي ترفع الحق وتخفض الباطل، وتقيم العدل وترد المظالم، وهي صوت المظلومين، وهي لسان الهداية، ولأمر ما قال موسى -عليه السلام- عندما بعثه رب العالمين سبحانه وتعالى إلى فرعون: {اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ * قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّنْ لِّسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي} (طه: ٢٤ - ٢٨).

ولا يمكن أن ينتصر صاحب دعاية ومناد بفكرة وصاحب إصلاح إلا بالخطابة، فالخطابة هي الدعامة التي قامت عليها الانقلابات العظيمة والثورات الكبيرة، التي نقضت بنيان الظلم، وهدمت قصور الباطل، فهذه الثورة الفرنسية إنما قامت على الخطابة، وهي التي كانت تؤجج نيرانها وتذكي لهبها.

والخطابة قوة تثير حمية الجيوش وتدفعهم إلى لقاء الموت، وتزيد قواهم المعنوية، ولذلك كان قواد الجيوش المنتصرون في القديم والعصور الحديثة خطباء، ومنهم: نابليون، وعلي بن أبي طالب، وخالد بن الوليد، وطارق بن زياد، كل هؤلاء القواد حملوا معهم سلاحاً معنوياً بجوار السلاح الحديدي، والخطباء هم المسيطرون على الجماعات، هم الذين يقيمونها ويقعدونها. وفي الحكومات الشورية يكون الخطباء هم الغالبين، تصدع الأمة بإشاراتهم وتخضع لسلطانهم؛ لأن الغلبة في ميدان الكلام والسبق في حلبة البيان لهم، فأراؤهم فوق الآراء؛ لأنهم يستطيعون أن يلحنوا بحجتهم ويسبقوا إلى غاياتهم، وفي ذلك نشر لسلطانهم ورفعة لهم. فالخطابة طريق للمجد الشخصي كما أنها طريق النفع العام، والحق أن الخطابة مظهر اجتماعي للمجتمع الراقي، تحيا برقي الجماعة وتخبو بضعفها.

رابعا: أنواع الخطابة:

الناظر في أغراض الخطابة ومقاصدها ومتطلبات المجتمع من ذلك يستطيع إدراك أنواعها، وهذا سرد لأهم أنواعها:

١- الخطب النيابية : وهي الخطب التي تكون في دور النيابة والشورى عاكسة ما يجري داخل هذه القاعات من مناقشات ومداولات وأسئلة واستجابات مؤيدة ومعارضة .

٢- الخطب الانتخابية : وهي خطب تعد وتلقى من أجل الترشيح والترقية لشخص أو حزب أو مبادئ ، مع ما يشتمل عليه ذلك من رد على المعارضين .

٣- الخطب الثقافية : وهي ما يلقي في النوادي الثقافية والأنشطة العلمية والجامعية ، وهي في العادة تتخذ مسارا ثقافيا وأديبا وعلميا واجتماعيا وتوجيهيا بما يتعد عن الأغراض السياسية والقضائية والوعظ ، وتعلو النبرة فيه بما يعرف بالمعارك الأدبية بين المنتدين حسب اتجاهاتهم الأدبية ، شعرا ونثرا وتليدا وجديدا ، وهو في العادة خطاب لطبقة مثقفة متأدبة ذات تميز ثقافي خاص .

٤- الخطب القضائية : ويظهر هذا النوع في دور القضاء وقاعات المحاكم ، حين ينبري المدعون بإلقاء حججهم والسعي في إثبات دعواهم ، فيقابلهم المحامون بالدفاع عن موكلهم بأسلوب خطابي بليغ مؤثر ذي ألفاظ وإلقاء متميز وحركات مدروسة .

٥- الخطب العسكرية : وهي ما يلقيه قائد العسكر على جنده وزملائه بغرض بث الروح المعنوية والقتالية فيهم وبيان شرف موقعهم وكرم موقفهم وشرح خططه العسكرية والميدانية بأسلوب انفعالي مؤثر .

٦- خطب المنبر والمواعظ : وهذا هو محل البحث والنظر والتفصيل هنا ، وهذا النوع يتجلى في أسمى صورته وكامل هيئته وانتظام شكله في خطب الجمعة المنبرية، وهي خطب أسبوعية دورية تتخذ أغراضا عدة وترمي إلى مقاصد متنوعة نشير في هذا التعريف إلى نماذج منها، إذ من المعلوم أن هذه المقاصد والأغراض تتجدد وتنوع حسب حاجات الناس وتغير الأحوال وتقلب الظروف ودواعي التذكير.

المبحث الثاني: خطبة الجمعة

وسنبين فيما يأتي مفهومها وأركانها وشروطها:

فخطبة الجمعة كما بينا متنوعة الأغراض والمقاصد ولا يمكن حصرها في موضوع دون آخر؛ لأنها تدخل في جميع قضايا المجتمع الدينية منها والسياسية والاجتماعية والاقتصادية وكل ما يطرأ على الناس من مستجدات يجب بحثها ومناقشتها وإبداء الرأي فيها وتوجيه المجتمع نحو أفضل الحلول لكل الصعوبات التي تواجهه، فالخطبة لا تقتصر على الشأن الديني البحت بل تتعدى ذلك لتشمل جميع شؤون الحياة ومرافقها.

ولخطبة الجمعة كما لغيرها من أنواع الخطب أركان وأغراض معينة وشروط لا بد من توافرها:

أولاً: أركانها:

الصحيح من أقوال أهل العلم أن ركن الخطبة الوحيد هو أقل ما يصدق عليه اسم الخطبة عرفاً، وللفقهاء في مسألة أركان خطبة الجمعة ثلاثة أقوال هي:

القول الأول: ليس لها أركان، بل تحصل بما يقع عليه اسم الخطبة عرفاً.

وبهذا قال أبو يوسف ومحمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة^(١) والإمام مالك في رواية عنه، وهو المشهور من مذهب أصحابه^(٢).

القول الثاني: لا تحصل إلا بتوفر أركان فيها وهي:

١ - حمد الله تعالى.

٢ - الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٣ - قراءة آية من كتاب الله سبحانه وتعالى.

٤ - الوصية بتقوى الله عز وجل.

٥ - مولاة الخطبتين مع الصلاة.

٦ - الجهر بالخطبتين.

وبهذا قال الشافعية في المشهور من مذهبهم^(٣) وهو المذهب عند الحنابلة^(٤).

القول الثالث: ليس لها أركان، بل تحتل بذكر الله - تعالى - على قصد الخطبة، قل الذكر أو أكثر،

(١) ينظر المبسوط ٣٠/٢، وبدائع الصنائع ٢٦٢/١، والهداية للمرغيناني ٨٣/١، وتبيين الحقائق ٢٢٠/٢.

(٢) ينظر: الإشراف ١٣١/١، بداية المجتهد ١٦١/١، والكافي لابن عبد البر ٢٥١/١، والقوانين الفقهية ص (٨٦)، والفواكه الدواني ٣٠٦/١.

(٣) ينظر الوجيز ٦٣/١، وحلية العلماء ٢٧٧/٢، والمجموع ٥٢٢/٤، وروضة الطالبين ٢٤/٢، ومغني المحتاج ٢٨٥/١.

(٤) ينظر: الهداية لأبي خطاب ٥٢/١، والفروع ١٠٩/٢، والمحزر ١٤٦/١، والمغني ١٧٣/٣، وشرح الزركشي ١٧٥/٢، والإنصاف ٣٨٧/٢ - ٣٨٨.

حتى لو سبح أو هلل أو حمد الله - تعالى - أجزأ.
وبهذا قال الإمام أبو حنيفة^(٥). والإمام مالك في رواية عنه^(٦).

ثانياً: شروطها:

شروط الخطبة هي:

- ١ - الوقت وهو بعد الزوال فلا يصح تقديم شيء منها عليه.
- ٢ - حضور العدد الذي تنعقد به الجمعة، على خلاف بين الفقهاء في العدد الذي تنعقد به الجمعة:
 - أ - فمنهم من قال تنعقد بثلاثة أشخاص.
 - وهذا هو قول الحنفية^(٧) وهو رواية عن الإمام أحمد^(٨) واختارها شيخ الإسلام ابن تيمية^(٩).
 - ب - ومنهم من قال: أنها لا تنعقد إلا بأربعين.
 - وهذا هو قول الشافعية^(١٠) وهو الرواية المشهورة عن الإمام أحمد، والمذهب عند أصحابه، وعليه أكثرهم^(١١).
 - ج - ومنهم من قال: أنها لا تنعقد إلا بعدد تنقري بهم القرية، ولا تنعقد بالثلاثة والأربعة ونحوهم.
 - وهو المشهور عند المالكية^(١٢).

(٥) ينظر: المبسوط ٣٠/٢ ، وبدائع الصنائع ٢٦٢/١ ، والهداية للمرغيناني ٨٣/١ ، وتبيين الحقائق ٢٢٠/١ .

(٦) ينظر: الإشراف ١٣١/١ .

(٧) على خلاف بينهم هل يعتبر الإمام منهم؟ فقال أبو حنيفة ومحمد: ثلاثة سوى الإمام ، وقال أبو يوسف: اثنان

سوى الإمام ، ينظر: مختصر الطحاوي ص (٣٥) ، وبدائع الصنائع ٢٦٨/٢ ، والهداية للمرغيناني ٨٣/١ .

(٨) وهناك روايات أخرى عن الإمام أحمد ، حيث بلغت الروايات عنه في هذه المسألة سبع روايات ، ينظر: الفروع

٩٩/٢ ، والإنصاف ٣٧٨/٢ ، والمبدع ١٥٢/٢ .

(٩) هو شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله الحارثي ، ثم الدمشقي ، تقي الدين ، أبو

العباس ، قدم مع والده من حران إلى دمشق في صغره ، وأخذ عنه وعن غيره من علمائها ، وبرع في مختلف العلوم

، وامتحن وأوذى وحبس عدة مرات ، وصنف مصنفات كثيرة وجليلة منها: منهاج السنة ، والسياسة الشرعية ،

وتوفي سنة ٧٢٨ هـ (ينظر: ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ٣٨٧/٢ ، والمقصد الأرشد ١٣٢/١).

(١٠) ينظر: الأم ١٩٠/١ ، والمجموع ٥٠٢/٤ ، وروضة الطالبين ٧/٢ .

(١١) ينظر: المغني ٢٠٤/٢ ، والفروع ٩٩/٢ ، والمحرم ١٤٢/١ ، والإنصاف ٣٧٨/٢ .

٣- تقديم الخطبتين على الصلاة.

٤- الجلوس بينهما وتجب الطمأنينة فيه فلو كان عاجزاً عن القيام وخطب جالساً وجب أن يفصل بينهما بسكتة على الأصح.

٥- رفع الصوت بحيث يسمع أربعين من أهل الكمال وإلا لما حصل المقصود من مشروعية الخطبة.

٦- وهل يشترط كونها عربية؟ الصحيح: نعم، لنقل الخلف عن السلف ذلك. وقيل: لا يجب لحصول المعنى، فعلى الصحيح لو لم يكن فيهم من يحسن العربية جاز بغيرها.

٧- الموالاة بين الخطبتين.

ثالثاً: أغراضها:

وأهم أغراض الخطبة المنبرية (خطبة الجمعة): الدعوة إلى الإصلاح والإصلاح، والاستمسك بأمور الشريعة، وإقامة الحق والعدل، ونشر الفضائل. لذلك فمن أغراض الخطبة:

- ١- تثبيت العقيدة وتقوية الإيمان.
- ٢- الدعوة إلى الإسلام والدفاع عنه وبيان مزاياه.
- ٣- خطب الإصلاح ومحاربة المنكرات.
- ٤- خطب ذات موضوع خاص أو مسألة مفردة من مسائل الإسلام كالصلاة والصوم وحقوق الوالدين والجوار وحرمة الزنا والخمر والسرقعة ونحو ذلك.
- ٥- معالجة القضايا المستجدة بنظرة شرعية.

رابعاً: أهميتها:

إن الخطبة كانت ولا تزال من أهم وسائل الدعوة إلى الله تعالى باللسان، ولا نتجاوز الحقيقة كثيراً إن قلنا: إن الخطبة هي أهم وسائل الدعوة الإسلامية، ففي بداية الدعوة كان للخطابة الدور الرئيسي في التبليغ، حيث امتثل النبي -صلى الله عليه وسلم- لأمر ربه له بالدعوة جهراً {يَا أَيُّهَا

(١٢) ينظر: بداية المجتهد ١/١٥٨، والكافي لابن عبد البر ١/١٤٩، والقوانين الفقهية ص (٨٥).

الْمُدَّثِرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ { (المدثر: ١، ٢)، {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} (الشعراء: ٢١٤)، {فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ} (الحجر: ٩٤).

ولما نزلت هذه الآيات جعل النبي -صلى الله عليه وسلم- الخطابة سلاحه في التبليغ، حيث روى الترمذي عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: ((لما نزلت هذه الآية: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} جمع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قريشاً فعم وخص؛ فقال: يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار فإنني لا أملك لكم من الله ضرراً ولا نفعاً. يا معشر بني قصي أنقذوا أنفسكم من النار فإنني لا أملك لكم من الله ضرراً ولا نفعاً. يا معشر بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار فإنني لا أملك لكم من الله ضرراً ولا نفعاً. يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار فإنني لا أملك لك ضرراً ولا نفعاً، إن لك رحماً وسأبليها ببلاها)) أي: إن لك قرابة وسأصلها كما أمرني الله سبحانه وتعالى.

إضافة على ذلك فقد اتخذ النبي -صلى الله عليه وسلم- الخطابة وسيلة للدعوة عند استقباله للوفود، التي كانت تتوالى عليه معربة عن قبولها للإسلام ديناً، كما كانت الخطابة منهج النبي -صلى الله عليه وسلم- في توجيه قيادة الجيوش الإسلامية الزاهية لنشر الإسلام في كافة الأنحاء، وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- يأمر من يراه أهلاً للخطابة بأن يخطب بحضرته -صلى الله عليه وسلم-.

ويتضح هذا في موقفه -صلى الله عليه وسلم- من وفد بني تميم، حين دخل الوفد إلى المسجد النبوي الشريف ونادوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من وراء حجراته: "يا محمد اخرج إلينا، يا محمد اخرج إلينا، فأذى ذلك رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فخرج إليهم؛ فقالوا: يا محمد جنناك نفاخرك فأذن لشاعرنا وخطيبنا، فقال -عليه الصلاة والسلام-: ((قد أذنت لخطيبكم فليقل)) فقام أحدهم فقال: الحمد لله الذي له علينا الفضل والمن وهو أهله، الذي جعلنا ملوكاً ووهب لنا أموالاً عظماً نفعل فيها المعروف، وجعلنا أعز أهل المشرق وأكثره عدداً وأيسره عدة، فمن مثلنا في الناس؟! ألسنا براءوس الناس وأولي فضلهم، فمن فاخرنا فليعدد مثل ما عددنا، وأن لو نشاء لأكثرنا الكلام ولكننا نحيا من الإكثار فيما أعطانا وإنا نعرف بذلك، أقول هذا لأن تأتوا بمثل قولنا وأمر أفضل من أمرنا، ثم جلس، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لثابت بن قيس: ((قم فأجب الرجل في خطبته)).

فقام ثابت -رضي الله عنه- فقال: الحمد لله الذي السموات والأرض خلقه، قضى فيهن أمره، ووسع كرسيه السموات والأرض، ولم يك شيء قط إلا من فضله، ثم كان من قدرته أن جعلنا

ملوكًا، واصطفى من خير خلقه رسولًا، أكرمه نسبًا وأصدقه حديثًا وأفضله حسبًا، فأنزل عليه كتابه وائتمنه على خلقه، فكان خيرة الله من العالمين. ثم دعا الناس إلى الإيمان به فآمن برسول الله - صلى الله عليه وسلم- المهاجرون من قومه وذوي رحمته، أكرم الناس حسبًا وأحسن الناس وجوهًا، وخير الناس فعالًا، ثم كان أول الخلق إجابة واستجاب لله حين دعاه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- نحن، فنحن أنصار الله ووزراء رسوله -صلى الله عليه وسلم- نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله، فمن آمن بالله ورسوله منع منا ماله ودمه، ومن كفر جاهدناه في الله أبدًا، وكان قتله علينا يسيرًا. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي وللمؤمنين والمؤمنات، والسلام عليكم ورحمة الله".

ثم اتخذ الخلفاء الراشدون وأولو أمر المسلمين من بعدهم -في كل زمان ومكان- الخطابة وسيلة لنشر الإسلام، وتثبيت دولته، إما بأنفسهم مباشرة وإما بتكليفهم من يقوم بها على وجهها، وذلك لاعتقادهم أن الخطابة في الإسلام هي مظهر الحياة المتحركة فيه، الحياة التي تجعل هذا الدين يزحف من قلب إلى قلب ويثب من فكر إلى فكر، وينتقل مع الزمان من جيل إلى جيل ومع المكان من قطر إلى قطر.

وذاك هو السر في أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يخطب كل أسبوع وكل عيد، ويخطب أو ينيب عنه أميرًا يخطب في وفود الحجيج عند جبل الرحمة، ولأهمية الخطابة ومكانتها في الدعوة الإسلامية جعلها الإسلام الحنيف شعيرة من أهم شعائره، في كافة المناسبات الدينية والدينية؛ دعمًا للحق وهدمًا للباطل. ومن أهم هذه المناسبات: مناسبات أسبوعية وأخرى سنوية وثالثة طارئة، ففي كل أسبوع يحتشد المسلمون في المسجد الجامع؛ ليسمعوا داعية إلى الله تعالى يذكر به ويعلم دينه، وفي كل عيد يجتمع الرجال والنساء في الميادين الرحبة، أو في المصليات المحيطة بالقريه ليسمعوا التوجيه المناسب بعد صلاة العيد، وفي كل موسم جامع للحجيج تلتقي وفود الأمة الإسلامية المترامية الأطراف حول عرفة، لتستمع إلى خطاب خطير يتناول شئونها ويشرح قضاياها ومبادئها، وفي الأمور الطارئة كالكسوف والكسوف والجدب يجتمع المسلمون للصلاة والابتهاج إلى الله تعالى، ولسماع خطيب يذكرهم بنعم الله تعالى على الناس خاصة، وسننه في خلقه عامة، ويخوفهم بما أراهم الله تبارك وتعالى من الآيات لعلمهم يتقون أو يحدث لهم ذكرًا.

إن فضل الخطابة عظيم وشرفها جسيم، وفضل العلوم والصناعات وشرفها إنما هو بشرف غاياتها وأهدافها، وللخطابة غاية ذات شأن خطير وهي إرشاد الناس إلى الحقائق، وحملهم على ما ينفعهم في العاجل والآجل، وفوائد الخطابة جمّة؛ فالخطابة تنقل السامع من موقف إلى آخر، ومن عقيدة إلى

أخرى باعثة في السامع نزعة للعمل الإيجابي فيما كان يقف موقفًا سلبيًا، فغاية الخطابة هي تحويل الأفكار الذهنية الجامدة إلى عواطف متحركة.

إنها مهمة الأنبياء ووظيفة المرسلين والخلفاء والمصلحين، من قام بها على الوجه الأحسن والأكمل كان من الراجحين الفائزين، وهل كان شغل الأنبياء والمرسلين إلا دلالة الخلق على الله، وحثهم على الخير ونهيهم عن الشر، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وتذكيرهم بين الحين والحين بما يصلحهم في دنياهم، ويسعدهم في عقابهم، وعن طريق الخطابة ترد النفوس إلى باربيها، ويوصل المنقطعون بخالقهم، ويهتدي التائه الحيران، ويسكن القلق ويطمئن المضطرب، ويعرف الناس غايتهم، ويزيد التقى تقىً والمهتدي هدىً، ويقوى الضعيف ويعز الذليل ويجتمع الشتات وتتوحد الصفوف.

والذي يعن النظر في الخطب النبوية يجد أن النبي -صلى الله عليه وسلم- دعا بالخطبة إلى العقيدة الصحيحة، وامثال الأوامر، واجتناب النواهي، والتحلي بالفضائل، والتخلي عن الرذائل، ومواجهة الأعداء بالجهاد والنضال، وكذلك فعل الصحابة -رضي الله عنهم- من بعده، وفعل التابعون لهم بإحسان.

وبالخطبة أيضًا دافع النبي -صلى الله عليه وسلم- عن الحق، وهاجم الباطل، وألزم الخصوم، وأفحم المعاندين ورد كيدهم في نحورهم، وكتب السنة والسيره فيها ما يثبت ذلك بفضل الله عز وجل.

خامسا: كيفية إعداد الخطبة:

يمكن عرض الخطوات اللازمة لإعداد الخطبة على النحو التالي:

١ - اختيار الموضوع.

٢ - جمع النصوص والنقول والأفكار والعناصر للموضوع المختار، وبعد الجمع سيتضح للخطيب أن مادة الخطبة: إما أن تكون كثيرة فيقسمها إلى أكثر من موضوع، وإما أن تكون مناسبة فيكتفي بها، وإما أن تكون قليلة فيزيد البحث في مظان أخرى، فإن ضاق عليه الوقت أجل هذا الموضوع، وبحث عن موضوع آخر تكون مادته متوافرة.

وينبغي في الجمع مراعاة ما يأتي:

أ - البدء بالمصادر المتخصصة وجعلها أصلاً، ثم البحث عن مصادر أخرى مساعدة؛ فلو اختار مثلاً موضوع (الشكر) فإنه يبدأ بالكتب المتخصصة في ذلك: ككتاب الشكر لابن أبي الدنيا، ثم يرجع إلى آيات الشكر في القرآن، وما قاله أهل التفسير، ثم الأحاديث وشروحها، ثم أبواب الشكر في كتب الآداب والمواعظ والأخلاق..؛ لأن الكتب المتخصصة في الموضوع ستكفيه ما يقارب ثلثي الموضوع أو نصفه على الأقل؛ فتخفف عنه مؤنة البحث والتقصي. والكلام على مصادر الخطبة يحتاج إلى مقدمة مستقلة.

ب - أن ينطلق في عناصره وأفكاره من النصوص التي جمعها؛ فذلك أدعى للإقناع، وأيسر عليه. وبعض الخطباء قد تقدح الفكرة في ذهنه فتعجبه فيكتبها، ثم يعيا في البحث عن دليل يعضدها، ويقنع السامع بها؛ فيضيع وقته هدراً في ذلك، ثم يشعر باليأس، وربما توقف عن الكتابة، أو يذكرها بلا دليل فلا تقنع السامع، وربما كانت خاطئة وهو لا يدري.

ولذا فإن صياغة الأفكار، ووضع العناصر على ضوء النصوص والنقول التي جمعها يُؤمّنُه من الخطأ بإذن الله تعالى، ويرجحه من التعب، ويقنع المستمعين؛ وبناءً عليه فإن جمع النصوص والنقول يكون قبل وضع الأفكار والعناصر للموضوع.

٣ - بعد اختيار النصوص والنقول التي سيجعلها في خطبته يضع لها عناصر مختصرة (عناوين تدل عليها)؛ فمثلاً عنده نص وهو قول الله - تعالى: { وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ } [إبراهيم: ٧]، يجعل له عنواناً أو عنصراً: (الشكر يزيد النعمة)، وهكذا في بقية النصوص والنقول.

٤ - يرتب العناصر التي وضعها بنصوصها حسب رؤيته التي يراها مناسبة لوضعها في الخطبة، فيجعل العناصر المترابطة متوالية؛ فمثلاً في موضوع الشكر سيكون عنده عناصر في فوائد الشكر، وعناصر في عاقبة الكفر (كفر النعمة)، وعناصر في نماذج للشاكرين، وعناصر في نماذج لمن كفروا النعمة..، فيضم العناصر بعضها مع بعض تحت موضوعاتها. ويكون هذا الترتيب بالترقيم والإشارة إلى العناصر لا بالكتابة من جديد، حتى لا يُثقل على نفسه، ثم يسير في صياغة الموضوع وفق الأرقام التي لديه؛ فلا يفوته شيء، ويكون موضوعه مترابطاً منسجماً.

٥ - بعد الفهرسة والترتيب يقرر ما للخطبة الأولى، وما للثانية من العناصر المذكورة.

٦ - ثم يبدأ بالصياغة حسب الخطة التي وضعها، والمادة التي جمعها.

وهناك أمور ينبغي التنبيه لها أثناء الصياغة منها:

أ - الإخلاص لله . تعالى . في كتابته، واستحضار النية الخالصة، ومجاهدة النفس في ذلك؛ فلا تعجبه نفسه أثناء الكتابة، أو يتذكر مدح المصلين له، وماذا سيقولون عن خطبته؛ فإنه إن أخلص لله . تعالى . بارك الله في كتابته وجهده، ونفع به الأمة.

ب - أن يعيش مع الخطبة بقلبه، ويضع نفسه محل السامع؛ أي كأنه المخاطب بهذه الخطبة؛ لأن ذلك سيجعله يختار العبارات التي يرضاها ويحبها وتقنعها؛ فمثلاً لو كان يوجه نصيحة لواقع في معصية معينة؛ فليضع نفسه مكان صاحب هذه المعصية، وكأنه المخاطب بهذا الخطاب؛ فذلك أدعى للتأثر، وأجود في انتقاء الألفاظ المناسبة.

وبعض الخطباء الذين لا يراعون هذه الناحية تجدهم يترفعون على صاحب المعصية، ويخاطبونه من علو؛ فيكون عتابهم عنيفاً، وربما لا يقبله صاحب المعصية، لكنه لو وضع نفسه مكان صاحب المعصية، وبدأ بالعتاب فسيكون عتاباً رقيقاً، تقبله النفوس وتتأثر به.

ج - إن أحسن الخطيب أن القلم لا يجاريه في الكتابة، وأن أفكاره مشتتة، وذهنه مشوش فليتوقف عن الكتابة حتى يزول ما يشغله أو ينساه، ثم يعود إليها مرة أخرى.

د - إذا أشكلت عليه بعض الكلمات أو الجمل من جهة إعرابها، أو صرفها، أو دلالتها على المعنى الذي يريده، أو كونها غير فصيحة فله خياران:

١ - الرجوع إلى المعاجم اللغوية للتأكد من صحة الكلمة، ومناسبتها للمعنى الذي أرادته، أو سؤال من يعلم ذلك من أهل اللغة والنحو.

٢ - استبدال الكلمة أو الجملة التي يشك فيها بكلمة، أو جملة أخرى يعلم صحتها، واللغة العربية غنية بالمترادفات من الكلمات والجمل.

هـ - العناية بعلامات الترقيم، وبداية الجمل ونهايتها؛ حتى يعينه ذلك على قراءة الخطبة بشكل صحيح، وعدم التعتة والإعادة، وكثرة التوقف والتلكؤ.

سادساً: أجزاء الخطبة:

هناك عناصر وأجزاء لخطبة الجمعة لابد للخطيب أن يراعيها حتى تكون خطبته مسموعة وكلامه أكثر توجيهاً، وهذه الأجزاء تتمثل بما يأتي:

أولاً: المقدمة: وهي التي يستهل بها الخطيب خطبته، ويهيئ السامعين لسماعها، ويجذبهم بها إليه. ونجاح الخطيب فيها كفيل بالنجاح في بقية خطبته؛ إذ إن عسيرات الأمور بداياتها. وينبغي أن يراعي الخطيب فيها جملة أمور منها:

أ - أن تكون ذات صلة وثيقة بموضوع الخطبة، وممهدة له، ومهيئة الأذن لسماعه.

قال ابن المقفع: «وليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك».

وعلق عليه الجاحظ فقال: «فرّق بين صدر خطبة النكاح وبين صدر خطبة العيد، وخطبة الصلح، وخطبة الواهب؛ حتى يكون لكل فن من ذلك صدر يدل على عجزه؛ فإنه لا خير في كلام لا يدل على معنك، ولا يشير إلى مغزائك، وإلى العمود الذي إليه قصدت؛ والغرض الذي إليه نزلت» (١).

ب - أن تكون مناسبة في طولها وقصرها لمجموع الخطبة، والملاحظ أن بعض الخطباء يطيل في المقدمة إطالة قد تستوعب أكثر الخطبة أو نصفها، وهذا قد يصيب السامعين بالملال، وربما يتسوا من الدخول في الموضوع، فانصرفت أذهانهم عن الخطيب. وعكس هؤلاء الخطباء مَنْ لا يعتنون بالمقدمة، فيشرعون في الموضوع مباشرة، ولمّا ينتهياً المستمعون بعدد، وكلا الأمرين غير حسن، والمطلوب: الاعتدال في ذلك.

ثانياً: صُلب الموضوع: فبعد أن يمهد الخطيب لموضوعه في المقدمة، وينتهي السامعون لسماعه؛ يبدأ في الموضوع، وينبغي أن يراعي ما يلي:

أ - ترتيب الأفكار وتسلسلها: بحيث لا ينتهي من فكرة إلا وقد أعطاهما حقها من الاستدلال والإقناع، سواء كان الاستدلال لها بالنقل أم بالعقل، ولا يقفز إلى فكرة أخرى، ثم يعود إلى الأولى مرة أخرى؛ فإن ذلك يُربك السامع ويشوش عليه. ولا يتأتى ذلك للخطيب إلا إذا جمع مادة الخطبة من نصوص واستدلالات ونقوليات وأفكار، ثم سلسلها ورتبها قبل أن يبدأ بصياغتها.

ب - التوازن بين الأفكار: فلا يُشبع فكرة ويطيل فيها على حساب الأخريات. ومما يلاحظ عند كثير من الخطباء عدم التوازن في ذلك؛ فتراه في أول الخطبة يُشبع كل فكرة ويطيل فيها، ويحشد النصوص لها، ثم لما يحسّ بأنه تعب، وأتعب السامعين، وأطال عليهم؛ سرد الأفكار الباقية سرداً بلا استشهاد ولا إقناع، رغم أهميتها، وربما تكون أهم مما طرحه في الأول، وسبب ذلك أن الخطيب ليس عنده تصور كامل لخطبته وما فيها من مادة، وكم تستغرق من وقت؟

وعلاج هذه المشكلة: أن يقدر الخطيب وقت خطبته، ويُستحسن ألا تزيد عن ثلث ساعة، فإن زاد لأهمية الموضوع فنصف ساعة على الأكثر لكيلا الخطبتين. ويقدر كم تكون من ورقة حسب خطه وإلقائه، ويحسب كم فكرة عنده، وكم لها من نص، ومن ثم يسجّل الأفكار مع نصوصها، وما تحتاجه من صياغة على الأوراق التي قدّرها من قبل، فلا تخلو حينئذ من إحدى حالات ثلاث:

١ - أن تكون الأفكار بنصوصها وصياغتها متناسبة مع حجم المساحة التي قدرها . أي زمن الخطبة .
- فيبدأ بالصياغة مرتباً الأفكار كما سبق ذكره، معطياً كل فكرة حقها من الأسطر بلا زيادة ولا نقص إلا شيئاً يسيراً لا يُخلُّ بالخطبة.

٢ - أن تكون الأفكار بنصوصها وصياغتها أقل من المساحة التي قدرها، وفي هذه الحالة له خيارات عدة:

أ - أن يقصر الخطبة فتكون أقل من ثلث ساعة، فهو ينظر إلى استيعاب الموضوع، ولا يلتفت إلى الوقت.

ب - أن يزيد أفكاراً ذات صلة بالموضوع بقدر المساحة المتبقية.

ج - أن يسترسل في الصياغة؛ أي: يطيل في صياغة كل فكرة، بحيث يغطي النقص.

د - أن يزيد في الاستدلالات لكل فكرة.

٣ - أن تكون الأفكار بنصوصها وصياغتها أطول من المساحة المقدره؛ فإن كان الطول يسيراً فيمضي، وإن كان كثيراً فلا يخلو من إحدى حالتين:

أ - أن يمكن قسمة الموضوع إلى موضوعين فأكثر؛ بحيث يكون كل موضوع وحدة مستقلة، فيقسمه. مثال ذلك: لو أراد الخطيب أن يتكلم عن حشر الناس يوم القيامة، وابتدأ حديثه منذ بَعَثَهُمْ من قبورهم ثم حَشَرَهُمْ في العرصات... فسيجد أن موضوع البعث صالح لأن يكون موضوعاً مستقلاً؛ لكثرة ما فيه من نصوص، وهكذا موضوع الحشر، ثم ما بعد الحشر وهو فصل القضاء، فيجعلها موضوعات عدة.

ب - أن لا يمكن قسمته بهذا الشكل؛ كأن يكون الموضوع بطوله وحدة متكاملة لا تُجَزَّأ. مثال ذلك: الحديث عند فوائد الأمراض، وهي كثيرة، وفيها نصوص كثيرة أيضاً؛ فلو قدرنا أن فوائد الأمراض المنصوص عليها عشرون فائدة، وفيها من النصوص ثلاثون نصاً؛ فلا شك أن خطبة واحدة لا يمكن أن تستوعبها ولا اثنتين؛ لكن بالإمكان ذكر سبع فوائد في كل خطبة؛ بحيث تصير ثلاث خطب، أو عشر فوائد في كل خطبة؛ بحيث تصير خطبتين؛ فيسرد الخطيب في كل من الخطبتين أو الثلاث فوائد الأمراض جملة وتفصيلاً في الفوائد التي اختارها لهذه الخطبة بنصوصها. ثم في خطبة أخرى يسرد ما فصّله في الأولى جملة، ويفصل فيما لم يذكره وهكذا. ويكون عنده أكثر من خطبة في الموضوع.

ثالثاً: الخاتمة: بعضهم يجعلها في الخطبة الأولى، وينتقل في الخطبة الثانية إلى موضوع آخر في الغالب يكون موضوعاً وعظيماً معتاداً يذكَرُ بالنار، ويحث على التقوى، ويكون مسجوعاً، وهذا الأسلوب كان مستخدماً عند خطبائنا قبل سنوات، ولا يزال بعض كبار السن منهم ينهجونه إلى اليوم.

سابعا: الخطبة المؤثرة:

إذا أردت ان تكون خطبتك مؤثرة فلا بد من شمولها على ركائز أساسية يمكن حصر هذه الركائز بما يأتي:

١ - قصر الخطبة وطولها: وذلك حسب ما يتطلبه موضوعها، حيث لا يمكن الحكم على جودة

الخطبة أو عدم تأثيرها في السامعين بمجرد قصرها أو طولها؛ لأن الخطبة كما قلنا تتأثر بعوامل وظروف هي التي تحكم على الخطيب أن يقصر خطبته أو يطولها، ومن تلك العوامل:

أ - طبيعة الموضوع الذي يفرض على الخطيب أن تكون خطبته فيه مطولة أو قصيرة، وذلك بالنظر إلى أهميته بالنسبة للمستمعين أو الطرف الذي يمر به المجتمع.

ب - سعة وضيق مساحة المسجد الذي تقام به الجمعة، وكثرة المصلين فيه أو قلتهم عامل يفرض على الخطيب ان تكون الخطبة طويلة أو قصيرة.

ج - وهناك عامل ثالث يؤثر في طول الخطبة وقصرها، وهو ما يطرأ على الناس من أحوال تؤدي إلى اضطراب وضعهم وانشغال نفوسهم وعقولهم بما يحدث لهم كمجتمع أو للمسلمين عامة من أمور لها آثارٌ سلبيةٌ على عقيدتهم وأخلاقهم وأمنهم واستقرارهم.

ومع ذلك كله فعلى الخطيب ان يلتزم بتوجيهات سيد الخطباء سيدنا محمد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الذي رغب أن تكون الخطبة قصيرة؛ وذلك لكيلا يمل المستمع ولتكون الخطبة محددة الموضوع ومؤثرة في الناس.

فقد روى الامام مسلم في صحيحه عن واصل بن حيان -رضي الله عنه- قال: قال أبو وائل - وهو شقيق ابن سلمة- (خطبنا عمار -رضي الله عنه- فأوجز وابلغ، لما نزل قلنا: يا أبا اليقظان: لقد أبلغت وأوجزت، فول كنت تنفست -أي أطلت- فقال: إني سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم- إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته - منة - أي علامة من فقهه، فأطيلوا الصلاة واقصروا الخطبة، وإن من البيان لسحرا) (١٣).

٢ - اشتمال الخطبة على الآيات القرآنية:

لابد للخطيب أن يعتمد بالشكل الأساس على القرآن الكريم وأن تشتمل خطبته على آيات من كتاب الله عز وجل مهما كان يمتلك من أسبا البيان وقوة العبارة وجزالة الأسلوب، فالاستشهاد

(١٢) رواه مسلم (الجمعة - ٦ - ١٥٣).

بالآيات القرآنية تعطي الخطبة رونقاً جميلاً وتقوي حجة الخطيب وتجعله ينطق بالحق، لاسيما إذا كان يعرف كيف يوظف تلك الآيات حسب ما يتطلبه ظرف الخطبة ووقتها المناسب والموضع المناسب لكل آية يتلوها.

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في كثير من الأحيان يجعل خطبته أو جلها تلاوة سورة من القرآن لما يشتمل عليه من ابتداء الخلق والبعث ، والحساب ، والجنة ، والنار ، والترغيب والترهيب .

ومما ينبغي التنبيه له عند الاستشهاد بالآيات القرآنية في الخطبة ونحوها ما يلي :

أ- الحذر من الخطأ في تلاوة الآية ، فإن هذا مما يعيب الخطيب ، ويفسد عليه جمال أفكاره ، وأهمية موضوعه ، ويصرف السامع عن التأثر بالخطبة إلى التصحيح والنقد ، وتتبع الأخطاء ، فينبغي على الخطيب حفظ الآيات التي يستشهد بها في الخطبة حفظاً دقيقاً وسليماً ، فإن لم يتيسر له ذلك فلتكن مكتوبة يرجع إليها عند الحاجة ، حتى ولو كان مرتجلاً لخطبته ارتجالاً .

ب- الحذر من قراءة الآية بقراءة غير معروفة ولا مشهورة لدى السامعين ، وإن كانت قراءة سبعية ، فهذا من شأنه أن يشوش أذهان السامعين ، ويصرفهم عن تدبر المعنى إلى الوقوف عند اللفظ ، ومن كان محدثاً للناس فليحدثهم بما يعرفون ، وليترك ما ينكرون .

ال علي رضي الله عنه : " حدثوا الناس بما يعرفون ، أتحبون أن يكذب الله ورسوله " . (١) .

فإن أحب الخطيب أن يلفت النظر إلى معنى يكون في قراءة دون أخرى فلينبه إلى أن ذلك في قراءة " فلان " وهي قراءة سبعية .

ج- الحذر من الاستشهاد بالآية في غير موضعها ، وإنزالها على غير واقعها ، والتكلف في حمل الآية على حادثة معينة ، أو على جماعة معينة ، أو واقع معين مما يعد من التحريف ، وتحميل الألفاظ فوق ما تحتمل ، وعلى ذلك فلا بد من الاطلاع على تفسير الآيات من كتب التفسير المعتمدة ، فلا أقل من أن يطلع على تفسير واحد من هذه التفاسير حتى يكون على علم بفهم السلف للآيات وتأويلها ، مما يقيه من التأويلات الباطلة ، والأقوال الواهية في ذلك ، وليحذر من الاعتماد على تفاسير المبتدعين ، من الباطنية والصوفية ، والرافضة ونحوهم .

د- الحذر من إقحام الآيات المتشابهة أو المحتملة المعاني في مواطن الخلاف بين المذاهب ، والجماعات الإسلامية ، وجعلها نصاً قاطعاً في الرد على بعضها ، أو نصاً له فيما يذهب إليه من رأي ، وإنما حسبه في ذلك أن يبرز دلالة الآية القرآنية كما فهمها سلف الأمة ، وليكن دور الخطبة

هو جمع الأمة وتأليف القلوب على منهج علماء الأمة وسلفها ، لا في تفتيت صفها ، وتمزيق وحدتها ، وهذا يتطلب سعة صدر وحكمة .

هـ- الحذر من إقحام الآيات في مجال المخترعات الحديثة أو الصناعات والوسائل العلمية المستجدة ما لم يكن ذلك نصاً أو معنى راجحاً مرضياً من العلماء الأخيار ، فإن ولوج ذلك الباب لا يخلو من التكلف والتعسف في لي النصوص وتحميلها ما لا تحتمل من المعاني ، وهذا باب يستهوي كثيراً من الخطباء رغبة في التميز ، وإعجاب الناس بسعة علمه ، وثقافته ، ودقة نظره ، واستنباطه للطائف المعرفة ، وهو أمر محفوف بالمخاطر ، ربما فتح الباب للتأويلات الفاسدة ، والتجرؤ على الخوض في أمور من العلم لا يحسنها .

و- الحذر أيضاً من التكلف في تطويع الآيات للمناسبات المختلفة سواء أكانت مناسبات عامة أو خاصة.

وبعد هذا وذاك نقول:

إن كتاب الله تعالى هو الشفاء ، وهو الدواء الناجع لكل أمراض الأمة ، وعللها ، ولكن الدواء إذا وقع في يد متطبب لا يحسن الطب فإنه ربما كان ضرره أكبر من نفعه ، ومن هنا فإن الفرق الضالة والمبتدعة تركز في مناهجها ومسالكها المبتدعة على التأويل الفاسد لكلام الله سبحانه وتعالى.

٢ - اشتغال الخطبة على الأحاديث النبوية:

من المعروف أن السنة النبوية شارحة لكتاب الله مفصلة لمجمله مبينة لغاياته، لذا فإنه لا بد للخطيب أن تشتمل خطبته على أحاديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ذلك لأن الخطيب لا يمكن أن يستغني عنها ليقوي بها حجته ويدعم قوله ويهذب أسلوبه.

ومع ذلك كله فلا بد للخطيب عند اعتماده على الأحاديث أن يتجنب بعضاً من الأمور الآتية:

أ - تجنب ذكر الأحاديث الموضوعية ، والواهبية ، فإنه لا خير فيها ، ولا نور عليها ، بل إن ذكرها وحملها وتبليغها إلى الناس له دور خطير في نشر العقائد الفاسدة ، والبدع والضلالات ، لا سيما وأن العامة لا تمحيص ولا تثبت لديهم ، فسرعان ما تنتشر مثل هذه الأمور فيما بينها لتعلقها بالغرائب ، مع الاستهانة بما يترتب عليها من مفاصد .

ب - تجنب الأحاديث الضعيفة ؛ لأن في الصحيح غنية عن الضعيف ، ولا يخفى ما في نشر الأحاديث الضعيفة من آثار سيئة على الأمة في عقيدتها وفي سلوكها ، فكم من حديث ضعيف أو واه ، تناقله الناس محتجين به اعتماداً على إيراد الخطيب له ، وكم من عادة تشبث بها الناس كان مستندها حديثاً ضعيفاً.

ج - تجنب التحريف في المعنى والتكلف في حمل الحديث على غير ما يحتمله معناه لتقوية رأي ، أو مذهب ، أو جماعة ، أو نصرة فئة على فئة ، فإن بعض الخطباء يبالغ في مثل هذا فيشعر السامعين أن الحديث إنما ورد في بيان قوة هذا الرأي ، أو في بيان فساد تلك الجماعة بعينها .

٣ - وهناك أمور لا يستغني الخطيب عنها عند كتابته لخطبته أو تحضيره لها وهي على

وجه الإجمال لا التفصيل:

أ- أن تكون الخطبة مشتملة على الأمثال الهادفة والقصص المؤثرة التي يتعظ الناس بسماعها ويأخذوا منها الدروس المفيدة .

وليحذر الخطيب في هذا من الإكثار من الأمثال الشعبية ، أو ذكر الأمثال الساقطة والمبتذلة ، وما يشتمل على سوء أدب ، أو إيذاء للأسماع ، فإن ذلك سيئ الأثر على النفوس ، وربما أدى إلى تثبيت وتأكيد مفاهيم اجتماعية خاطئة ، أو مخالفة للشرع ، ويكون الخطيب بذكرها أحد المروجين والناشرين لها ، ولذلك فإن العلماء ذكروا لضرب المثل شروطاً أربعة :

الأول : أن تكون روايته خالية من كل تعقيد ليفضي المقصود منه إلى ذهن السامع .

الثاني : أن لا يكون مسهباً مملاً .

الثالث : أن يهيج السامع بطلاوته ، ويفكه فكره بجزل كلامه ، وابتكار معانيه ، ويضبط عقله في فهم الرواية المختلفة ، وفض مشكلها .

الرابع : أن يورد بصورة محتمة أي : مقبولة سواء من جهة اللفظ أم من جهة المعنى

ب - الاستشهاد بالشعر فإنه يزين الخطبة ويهذبها ويشد السامع إليها، فقد ورد في الحديث (وإن من الشعر لحكمة).

المبحث الثالث: الخطيب وصفاته ونماذج من الخطب

في هذا المبحث سنتكلم عن الخطيب ونبين ما المقصود منه ثم نتطرق إلى صفاته الشخصية والخلقية، ثم العلوم التي يحتاجها الخطيب:

فالخطيب: هو الشخص الذي يقوم بإلقاء الخطبة ، وهو يحتاج إلى أمور عديدة ليستطيع القيام بمهمته بنجاح . منها : صفات شخصية ، وصفات خلقية ، وعلوم أساسية ، وعلوم تكميلية .

أما صفاته الشخصية فهي:

١ - الاستعداد الفطري:

فليس كل إنسان يصلح للخطابة ، مهما علا شأنه وارتفعت مكانته ، فالخطيب هو الذي يتفاعل مع الأحداث ، فينطلق لسانه للتعبير عنها . ولذا قيل قديماً " ليست النائحة الثكلى كالنائحة المستأجرة "

٢- الذكاء ، وحضور الذهن:

ليستطيع أن يلمح مدى تفاعل الجمهور معه ، فيغير نغمته في الوقت المناسب ، ويتكلم بالكلام في الزمان والمكان المناسبين . وقديماً قالت العرب " فأرسل حكيماً ولا توصيه "

٣- رباطة الجأش ، والتحكم في النفس:

لأن للمنبر رهبة، وللناس مهابة ، سئل عبد الملك بن مروان ، ما الذي أسرع بالشيب إليك ؟ قال كيف لا أشيب وأنا أعرض عقلي على الناس كل أسبوع مرة .

فالخطيب يجب أن يتحكم في مشاعره ، لأن الذي لا يكون سيداً على أهواء نفسه لا يستطيع أن يتحكم بأهواء من سواه . وكثيراً ما نرى بعضاً من الخطباء عندما يرى حماس الجمهوري يتمادى فيما لا تحمد عقباه . ولذا قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب . رضي الله عنه . " كم أطار صفق النعال حول الرجال من رأس " .

٤- صدق الحس والعاطفة:

سئل الحسن البصري عن الخطباء والوعاظ ، ما بال بعضهم تؤثر فيك موعظته بينما الآخر لا يهز منك شعرة ، فقال : إذ خرج الكلام من القلب بلغ إلى الجنان ، وإذا خرج من اللسان لم يجاوز الآذان . ولذا كان رسول الله . صلى الله عليه وسلم . إذا خطب كان كمنذر جيش . صبحكم مساكم "

٥- القدرة على التمثيل: بحيث يستطيع أن يعبر بقسمات وجهه ، وحركات يديه ، عن كثير من المعاني التي يعجز عنها اللسان . فإذا احتاج إلى الغضب كان غضبه خطابياً لا انفعالياً ، لأن الغضب الانفعالي يمنع المرء من الحكمة ، لذا كان المصطفى . صلى الله عليه وسلم . لا يغضب إلا لله ، ويوصي أصحابه بعدم الغضب .

٦- الفصاحة والبلاغة الفطرية:

ومن البلاغة الإيجاز في موضعه والإطناب في موضعه . ولما سأل خطيب أطلال في الخطبة أعرابياً ما تعدون العي فيكم ؟ قال : ما كنت فيه منذ اليوم .

٧- حسن الصورة ، وكمال الهيئة:

وكان العرب يحرصون في خطيبهم على أن يكون مهيباً ، لذا كان صلى الله عليه وسلم يختار عباده بن الصامت للخطابة بين أيدي الوفود ، لمهابته في النفوس ، ويختار سفراءه من حسان الوجوه ، الذين يحسنون التصرف في المواقف .

٨- قوة الشخصية:

ليؤثر في الآخرين ، دون أن يتأثر بغيره إلا على سبيل المشورة والنصح . وكثيراً ما نرى بعض الخطباء أو المفتين والموجهين يكونون أبواق دعاية لما يريد به بعض الناس ، وهذا من أكبر الخطأ .

أما الصفات الخلقية التي يحتاج إليها:

١- فأولها الإخلاص لله تعالى:

لأن كل عمل نزع منه الإخلاص كان عديم البركة ، قال رسول الله . صلى الله عليه وسلم . قال الله تعالى (من عمل عملاً مما يتبغى به وجهي ، أشرك فيه معي غيري تركته وشركه) .

٢- حب الخير للناس ، والحرص على نصحتهم:

ولذا كان المصطفى . صلى الله عليه وسلم يبذل جهده وطاقته في الدعوة حتى قال له ربه (فلعلك باخع نفسك على آثاري إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً) .

٣- التواضع لله ، والتواضع للناس ، لأن الغرور هو الذي أخرج إبليس من الجنة والتكبر على الناس يجلب مقتهم وكرههم . فقد كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يخدم أصحابه وهو سيدهم ، ويحدثهم كحديث أحدهم .

٤- صدق الحديث:

لأن من عرف بالكذب تجنبه الناس ولم يسمعوا له . (قال صلى الله عليه وسلم : عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً ، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار ، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً) .

٥- العمل بما يقول ربنا سبحانه وتعالى: (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ، كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) . قال مالك بن دينار ، إذا خالف عمل الواعظ قوله ، زلت موعظته عن القلوب ، كما تزل القطرة على الصفا .

٦- نظافة الملابس ، وحسن التجمل في الثياب دون إسراف:

قال الشافعي رحمه الله تعالى :

حسن ثيابك ما استطعت فإنها . . . زين الرجال بها يعز ويكرم

ولذا كان الرسول -صلى الله عليه وسلم- يلبس الثياب البيض في المناسبات.

٧- الابتعاد عن خسائس الأمور ، وسقوط المهمة:

فلا يصلح أن يكون الخطيب جشعاً ، أكولاً بشراهة ، يخوض فيما هب ودب ، ينازع الناس في سفاسف الأمور ، لأن من كان كذلك سقطت حرمة من أعين الناس ، لذا ورد في صفات النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم . " ليس بفاحش ولا متفحش ولا صحاب في الأسواق ، يجزي بالحسنة الحسنة ، ولا يجزي بالسينة السيئة "

٨- الشجاعة في الحق ، دون تمور:

قال رسول الله . صلى الله عليه وسلم . "أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر " وقال عليه الصلاة والسلام " ليس الشديد بالصرعة ، إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب ."

بعد هذه الصفات التي على الخطيب ان يكون متحلياً بما لا بد من القول بأنه يحتاج إلى علوم كثيرة تشري عقله، وتصلق موهبته وتهذب لسانه، وترفع مكانه بين أقرانه، منها ما هو أساسي له لا يستغني عنه ، ومنها ما هو تكميلي .

أما العلوم الأساسية التي يحتاج إليها:

١- القرآن الكريم :

وذلك بحسن تلاوته ، وجودة أدائه ، ودقة حفظه ، مع القدرة على الاستشهاد بالآيات القرآنية في مواضعها المناسبة . فالخطبة تعلق قيمتها ويقوى تأثيرها بشواهد القرآنية . مع الأخذ بحظ لا بأس به من علم التفسير .

٢- الحديث الشريف:

والحديث النبوي لا يقل شأناً يقال عن القرآن الكريم، فلا بد للخطيب أن يحفظ جوامع الكلم ، ويتجنب الاستشهاد بالموضوعات والإسرائيليات، فإن في الصحيح ما بغنيه ويهذب أسلوبه.

٣- اللغة العربية نحواً و صرفاً وبلاغة:

فما أقبح الخطيب الذي يقف على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم . ويلحن في لغة القرآن ، قد يقول كفوفاً وهو لا يعلم ، كالذي قال (إن الله بريء من المشركين ورسوله) بالجر .

إن الخطيب لتعلق بين الناس مكانته بمقدار تمكنه من اللغة العربية، وتسقط مهابته بمقدار لحنه.

٤- علم السيرة:

فالقصاص لها تأثير بليغ في إيصال المعاني المطلوبة إلى القلوب ، لذا كثر إيرادها في القرآن الكريم (نحن نقص عليك أحسن القصص) وأحسن القصص سيرة المصطفى -صلى الله عليه وسلم-؛ لأنه تفسير عملي للقرآن .

٥- علم الفقه:

لأن الخطيب يعد قائداً دينياً، يتوجه إليه الناس بأسئلتهم الشرعية ومشكلاتهم الاجتماعية، فإن لم يستطع الإجابة عليها نزلت مكانته في قلوبهم، ولا يعني هذا أن يتكلف علم ما لا يعلم، بل يجب عليه أن يتعلم " لا أدري " فمن لم يتعلم لا أدري أصيبت مقاتله.

٦- علم النفس:

لأن وظيفته الأساسية هي القدرة على التأثير في النفوس وتوجيهها إلى الخير، فإذا لم يعرف خصائص النفوس، ومفاتيح أفعالها، لم يستطع إيصال كلمته إلى سويداء قلوب الناس. ومن أحسن كتب علم النفس الإسلامي كتاب (إحياء علوم الدين) للإمام الغزالي.

٧- معرفة أوضاع مجتمعه وهموم الناس وعاداتهم:

ليستطيع أن يختار الموضوعات المناسبة والأوقات المناسبة لعرضها، فليس من الحكمة مخاطبة الفقراء بالزهد، وهم لا يملكون ما يأكلونه، بل الواجب على الخطيب أن يبحثهم على العمل وكسب الرزق مع الرضا بما يقدر لهم.

أما العلوم التكميلية التي يحتاج إليها :

فإن الخطيب لا بد أن يلم من كل علم ولو برشفه، ومن كل فن ولو بزهرة . ولكن أهم هذه العلوم التكميلية :

١- علم الأدب:

لأن من تعلم الأدب جنل طبعه ، ورقت مشاعره ، وتهذب لسانه، وقد جبل الناس على حب الشعر والطرائف.

٢- علم التاريخ:

ليستطيع نقل الناس من عصر إلى عصر ، ومن أمة إلى أخرى ، فالتاريخ سجل تجارب الأمم ، ووثيقة شاهدة على العصور الماضية.

٣- الأوضاع الراهنة في العالم:

حتى لا يظهر أمام الناس كالذي يعيش في غير دنياه بدون أن يتحسس ظروف مجتمعه وما يطرأ عليهم من مستجدات يجب أن يتطرق إليها في الخطبة.

٤ - مصادر إسلامية قديمة:

وهي ما عدا التفسير وشروح السنة من كتب العقائد والأحكام والمواعظ والأخلاق والرقائق وغيرها ، يختار منها الخطيب ما يناسب موضوعه تأصيلاً واستدلالاً وأسلوباً ، ويذكر على سبيل المثال مدارج السالكين ، وزاد المعاد لابن القيم -رحمه الله- ومجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية والإحياء للغزالي ومختصره ، مع ما ينبغي من الحيطة في بعض ما في الكتاب من ملاحظات، وصيد الخاطر لابن الجوزي ، وأدب الدنيا والدين للماوردي وروضة العقلاء للبستي ، وجامع العلوم والحكم لابن رجب .

٤ - كتب الأدب القديم والحديث:

وهذه يعني بها الخطيب من أجل رقي الأسلوب ، وتخير الألفاظ ، وانتقاء الكلمات والعبارات الجزلة الأخاذة ذات الوقع المتميز على السامع ، ومن هذه الكتب القديمة البيان والتبيين للجاحظ ، وصبح الأعشى للقلقشندي ، والخطب المنسوبة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه فأسلوبها متميز والصناعة اللفظية فيه عالية ، على ما يتعين على الخطيب من ملاحظة المعاني الصحيحة التي لا تخالف مقاصد الشرع وأصوله .

ومن الكتب الحديثة مؤلفات الرافعي ، والخضر حسين ، ومحمد محمد حسين ، والعقاد ، وأحمد حسن الزيات ، والسيد أحمد الهاشمي وأمثالها.

٥ - الكتب المؤلفة في الإسلام والقضايا المعاصرة:

تزرخ الساحة العلمية والأدبية بكتب إسلامية معاصرة جيدة ، توفر للخطيب ثروة هائلة في إعداد مواضيعه وبخاصة الاجتماعية منها والتربوية وقضايا العصر وأحداث الوقت ، فهي تتحدث بلغة معاصرة جيدة ومعالجات مناسبة يحسن من الخطيب كثرة المطالعة فيها ، وبخاصة كتب المعروفين بحسن إسلامهم ، وصحة منهجهم ، وسلامة قصدهم ، مثل محمد الخضر حسين ، وسلسلة دعوة الحق التي تصدرها رابطة العالم الإسلامي وغير ذلك .

٦ - المؤلفات في الخطب:

وهي مؤلفات خاصة تشتمل على خطب الجمعة ، ألقاها مؤلفوها في مواضيع متنوعة ، والسوق المكتبية ملأى بهذا النوع من المؤلفات يجدر بالخطيب وبخاصة في بدايات عمله الخطابي أن يطلع عليها ، وهذه المؤلفات غالباً ما تحتوي على مواضيع متشابهة في الطرح من الإيمانيات والمواعظ والقضايا الاجتماعية ، مما يتيح للخطيب المبتدئ فرصة المقارنة بين مناهج الخطباء وطرق عرضهم وأساليب طرحهم مما يعينه على رسم خط متميز لنفسه ، ولهذا ينبغي الاطلاع على هذه المؤلفات في بدايات الممارسة الخطابية ، حتى إذا اشتد عوده واتسعت مداركه ومعارفه استقل بنفسه ، وتوجه

إلى المصادر الأصلية ، فصار ينشئ الخطب ويرسم لنفسه خطا خاصا وطريقا منفردا، فهناك الكثير من المؤلفات التي تختص بخطبة الجمعة لمؤلفين مختلفين قديما وحديثا.

٧- الصحف والمجلات:

يجدر بالخطيب مواكبة الأحداث ومسيرة الوقائع ، ويفيده في ذلك الاطلاع على الصحف والمجلات ليتابع الأحداث المستجدة، ويمعن النظر في المقالات والتعليمات والتعليقات التي تواكب الحدث، ففيها ثراء وتوسيع لمدارك المتابع ، وبصر بتفسير الأحداث، مما يهدي الخطيب إلى النظرة المتوازنة وبخاصة إذا كثر اطلاعه على الكتابات والتعليقات الصحفية للكتاب المرموقين.

وقد تكون المجلات أكثر إفادة لأنها تعالج بعمل أكبر، فإذا كانت الصحافة تهتم بالحدث اليومي السريع، فإن المجلة تدخل إلى الحدث بعمق أكبر .

وهناك مجلات إسلامية وعلمية متخصصة ينبغي مزيد الاعتناء بها لما تحتويه من مادة علمية مؤصلة مدللة تعين الخطيب على غايته، مثل مجلة البحوث الإسلامية، والدعوة، والبيان، والإصلاح، والمجتمع .

بقي أن نذكر أن هناك ملاحظة هامة لا بد من التنبيه إليها:

وهي أن وظيفة الخطيب ليست هي تئيس الناس، وتصوير الحياة لهم بمنظار أسود، وصب اللعنات والعذاب عليهم، بل وظيفته الأولى هي رفع همهم، وجذب قلوبهم إلى الخير وإلى العمل للدين والدنيا، وحثهم على التمسك بالأخلاق الحميدة بصورة محبة إلى النفس كالذي فعله النبي - صلى الله عليه وسلم- مع الأعرابي الذي جاء ليسأله عن الإسلام فخرج وهو يقول : لو لم يكن هذا دينا، لكفى به خلقاً كريماً.

ولا يعني هذا أن لا نذكر الناس بين الحين والآخر بما أعده الله عز وجل للمنكرين والكافرين من عذاب اليم وحساب شديد يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. كما لا يفوت الخطيب أن يلفت أنظار الناس إلى أخطائهم، ولكن فليكن ذلك بحسن أدب، وحلاوة لسان، وليعرض الترغيب مع الترهيب والصورة البيضاء بجانب الصورة السوداء، حتى لا يزيد الناس يأساً إلى يأسهم، ونفوراً من الدين إلى نفورهم.

وليعلم الخطيب أن دوره التوجيه الصحيح إلى تعاليم الدين ومكارم الأخلاق، لا مجارة الناس فيما يطلبون، ولو كان باطلاً، كما نرى من أحوال كثير من الخطباء في أوقات الأزمات والعواصف المهلكات، فيصير مسعراً للفتن بدلاً من إطفائها. يقول الرسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- " الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها "

نماذج من الخطب: